السلم المجتمعي في السنغال : قراءة في دور الطرق الصوفية

Senegal's Community Peace: A Reading in the Role of Sufi Orders

ساعد بلواضح

جامعة امحند بوقرة، بومرداس (الجزائر)، s.belouadah@univ-boumerdes.dz

تاريخ الاستلام: 2022/10/31 تاريخ القبول: 2023/05/27 تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص:

فرضت التحولات العالمية منذ سقوط المعسكر الاشتراكي، العودة إلى دراسة الظاهرة الدينية من جديد؛ نظرًا لما تقوم به الفواعل الدينية من دور في حياة الأفراد والشعوب والدول. السنغال هي من بين الدول التي يُعد فيها الفاعل الديني من بين أهم الفواعل التي كان ومازال له دور ايجابي في النسق الاجتماعي العام.

تهدف الدراسة لتقديم التجربة السنغالية كتجربة رائدة استطاعت تجنب العنف وعدم الاستقرار السياسي الناجم عن التنوع الإثني والديني، رغم وقوعها في منطقة تشتهر بانتشار الصراعات الهوياتية والدينية، حيث أدت في الكثير من الأحيان إلى انقسامات داخلية وحروب أهلية مازالت مآسيها ماثلة لحد اليوم. وقد توصلت الدراسة إلى استنتاجات متعلقة بأهمية مكانة الطرق الصوفية في النسق الاجتماعي السنغال كفاعل مركزي يحظى بالثقة والرضى الداخلي، واكتمل دورها كصمام آمان لواقع التنوع الإثني والاختلاف الديني. أولا، من خلال قدرتها على خلق ارادة التعايش بين الإثنيات، وثانيا، المساهمة في ترسيخ التسامح الديني بين الجماعات الدينية، مما أسهم بشكل كبير في بناء السلم المجتمعي، وارساء دعائم الأمن والاستقرار.

كلمات مفتاحية : السنغال، الطرق الصوفية، التعايش بين الإثنيات، التسامح الديني، السلم المجتمعي.

Abstract:

Since the fall of the socialist camp, global transformations have forced us to return to studying the religious phenomenon again; in view of the role played by religious acts in the lives of individuals, peoples and States. Senegal is among the States in which the religious actor is among the most important to play a positive role in the overall social context.

The study aims to present Senegalese experience as a pioneering experiment that has averted violence and political instability caused by ethnic and religious diversity, although in a region notorious for the prevalence of identity and religious conflicts, which often resulting in internal divisions and civil wars whose tragedies are still present today. The study reached conclusions related to the importance of the position of Sufi orders in the social system of Senegal as a central actor that enjoys confidence and internal satisfaction, and its role as a safety valve for the reality of ethnic diversity and religious difference diversity. First, through its ability to create the will for coexistence between ethnicities, and two, to contribute to the consolidation of religious tolerance among religious groups, thereby contributing significantly to the building of community peace, security and stability.

Keywords : Senegal; Sufi Orders; inter-ethnic coexistence; religious tolerance; community peace.

المؤلف المرسل: ساعد بلواضح .s.belouadah@univ-boumerdes.dz

1. مقدمة:

يرى الكثير من السياسيين والباحثين بشأن المجتمعات الإفريقية، أنَّ قضايا الإختلافات الإثنية والدينية هي أحد أهم الأسباب الرئيسة التي أدت بالدول الإفريقية في عالم ما بعد الإستعمار إلى زعزعة الإستقرار، أو نشوب حروب أهلية، كالحرب الأهلية في نيجيريا نتيجة للإنقسام الديني بين المسلمين والمسيحيين، أو الإبادة الجماعية التي تعرض لها التوتسي على يد الهوتو في رواندا، ...إلخ. وفي ظل هذا الواقع الإفريقي المأزوم، تقترح الدراسة تقديم نموذج مختلف عما هو سائد في إفريقيا، حيث مثلت السنغال نموذجًا متميزًا في عملية بناء السلم المجتمعي، ما جعل السنغال تنأى عن متاهات العنف والحروب الأهلية التي عرفتها الكثير من الدول الإفريقية.

1.1 مشكلة الدراسة:

في عام 2020 أصدر صندوق السلام المؤشر السنوي للدول الهشة، وتم ادراج أربع وعشرون دولة، ومِنْ بينها أربع دول مِنْ منطقة غرب إفريقيا وهي: غامبيا، بوركينافاسو، موريتانيا، ساحل العاج في فئة التحذير العالي، وكانت اثنان وعشرون دولة إضافية بما في ذلك خمس دول مِنْ منطقة غرب إفريقيا وهي : ليبيريا، غينيا بيساو، النيجر، مالي، غينيا في فئة الخطر. (Peace, 2020, p. 7) وبالفعل، عانت هذه الدول من استمرار الصراعات الداخلية وانتشار الإنقلابات العسكرية، الأمر الذي أدى إلى اهتزاز الإستقرار الإجتماعي، وبروز أزمات الإندماج الوطني.

لم تكن السنغال أبدًا في أي مِنْ هذين الفئتين، واستطاعت إلى حد كبير أنْ تتجنب دوامة العنف وتحافظ على إستقرارها، بالرغم من وقوعها في منطقة غرب إفريقيا التي تشهد صراعات وحروبًا أهلية عنيفة أكثر من أي منطقة أخرى في العالم. ومن هذا المنطلق نطرح اشكاليتنا الرئيسة لدراستنا المتمثلة كما يلي: "ماهي الفواعل الأساسية التي لعبت الدور الحاسم في عملية إرساء السلم المجتمعي في السنغال؟." وعدة أسئلة فرعية، أهمها : مالذي يفسر الإستثناء السنغالي في منطقة تنتشر فيها الإنقلابات العسكرية والحروب الأهلية؟، وكيف تم حل الخلافات الإثنية والدينية في السنغال من دون الذهاب للعنف؟

1.2 فرضيات الدراسة:

للإجابة على تساؤلاتنا، نطرح الفرضيات التالية:

– كلما كانت هناك علاقات ثقافية أفقية في المجتمع، كلما أوجد فرصًا للتجانس والتعايش بين المجموعات المختلفة.

– كلما كان هناك تجانسًا للجماعات الإثنية، وتسامحًا دينيًا بين الجماعات الدينية كلما أسهم في زيادة فرص تحقيق السلم المجتمعي.

– كلما ازداد دور الطرق الصوفية في المجتمع، كلما ازداد معه صنع السلام بين السنغاليين.

– كلما كان هناك فرص العيش المشترك بين الجماعات الإثنية والدينية، كلما ترسخت دعائم الأمن والإستقرار في البلد.

1.3 أهداف الدراسة:

– بشكل عام، لم يحظ في إفريقيا بالقدر الكافي من الدراسة لأهمية دور الدين في حل الخلافات الإثنية والدينية.

– ابراز الدور التاريخي للطرق الصوفية في السنغال كفاعل مركزي في المجال المجتمعي.

– مثل الإنجاز التاريخي للسنغال في عملية بناء الإستقرار والسلم المجتمع يعود بشكل كبير للطرق الصوفية، وهذا خلافًا للكثير من الدول الإفريقية التي عرفت حروبًا أهلية وانقلابات عسكرية.

1.4 المقاربة المنهجية: اعتمدنا في دراستنا على عدة مناهج بدا لنا أنها تتوافق مع اتجاه البحث، وهي كالتالي:

أ – المنهج التاريخي:

يسمى المنهج التاريخي بالمنهج الإسترادادي؛ فهو لا يكتف بتسجيل ما وقع في الماضي، بل يُعطي تصورًا علميًا لتفسير الظاهرة قصد الوصول إلى حقائق تساعدنا في فهم الحاضر، والتنبؤ للمستقبل. لذلك اعتمدنا على المنهج التاريخي لقدرته على دراسة التغيرات التي تطرأ على البنى الإجتماعية والتفاعلات المختلفة التي حدث في الماضي، ومن خلاله يُمكن ايجاد العلاقة بين المتغيرات المتحكمة في الظاهرة. وقد استخدمنا هذا المنهج قصد الرجوع إلى السياق السوسيو– ثقافي لفهم وادراك الدور التاريخي الذي لعبته الطرق الصوفية

في بناء علاقات ثقافية في المجتمع، ما جعلها فاعل مركزي في المجال المجتمعي، وتحظى بمكانة رفيعة لدى السنغاليين. (المشهداني، 2019، الصفحات 120-125)

ب – منهج دراسة الحالة:

يتميز منهج دراسة الحالة عن المناهج الأخرى في كونه يُركز على وضعية معينة أو حالة نموذجية ما أو جماعة محلية ما، ويتم التعمق في دراستها قصد الوصول إلى تعميمات تتعلق بالوحدة المدروسة. استعملنا منهج دراسة الحالة للتعمق في دراسة الطرق الصوفية كفرع من النسق الإجتماعي العام، تمارس تأثيرًا ملحوظًا في الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية السنغالية. فمن خلال صور تفاعلاتها سواء مع الدولة أو المجتمع، تبين لنا حجم تبيان ارتباطاتها الوظيفية مع الدولة والمجتمع السنغالي، وأدركنا أنَّ فاعلية الطرق الصوفية جعلها تقوم بدور الحاضنة الإجتماعية والدينية للمجتمع السنغالي، وساهم هذا الدور في صنع السلام الإجتماعي. (ذنيبات، 2007، الصفحات 130-136)

ج – المنهج المقارن:

لا يخلو أي بحث عند دراسة أي ظاهرة سياسية ما من المنهج المقارن؛ إذ يُعتبر هذا المنهج ضروري في العلوم السياسية، ويمكن استعماله في كل مستويات البحث العلمي، فالمقارنة في العلوم الإجتماعية تقوم بمقام التجربة في العلوم الطبيعية. استعملنا هذا المنهج لقدرته على كشف أهم الإختلافات الرئيسية، وأوجه التشابه لمشاكل الصراعات الإثنية والدينية في مناطق مختلفة من افريقيا جنوب الصحراء، وتمثلت مهمتنا في تحديد وتقييم القواسم المشتركة والتنوع لهاته المشاكل. ومن ثم، كان ادراكنا لأهمية ما حدث في إفريقيا جنوب الصحراء من حروب أهلية وصراعات داخلية عاملًا أساسيًا في توجيه داستنا. (شلبي، 1997، الصفحات 70-86)

2. مكانة الطرق الصوفية في مخيال المجتمع السنغالي

على الرغم من دخول الإسلام في ما يعرف الآن بالسنغال منذ القرن 11، فقد اعتنقه فقط الجزء الأكبر من السكان خلال النصف الأخير من القرن 19 والنصف الأول من القرن 20. (Mboup, 2010, p. 41) هذا يبين أنَّ تغيير المعتقدات الوثنية المتأصل في وجدان الإنسان الإفريقي تطلب وقت وجهد كبيرين وصل إلى حوالي

9 قرون. فلم يكن هذا التحول أمرًا سهلًا، ولعبت فيه الطرق الصوفية دورًا حاسمًا في مرافقة شعوب المنطقة، ليصبح التصوف الأكثر رواجًا وانتشارًا في غرب افريقيا والسنغال. فتعاظم تأثيرها الديني ونفوذها الإجتماعي، ووجودهم في جميع أنحاء البلاد هو مؤشر واضح على القبول العميق لدورهم داخل السكان. ودورهم البناء في تحقيق الإستقرار الإجتماعي.

1.2 الطرق الصوفية الكبرى في السنغال

أشارت الكثير من الدراسات الأكاديمية أنَّ الصوفية تقتصر فقط حول البعد الفلسفي، ولكن المتعمق لدورها التاريخي يجدها أنها أصبحت فاعلاً مركزيًا في المجال المجتمعي؛ واستطاعت تحريك الفعل السياسي لحالات كثيرة من المجتمعات المسلمة. (ابراهيم، 2012، صفحة 164) في السنغال، ارتبط الإسلام السنغالي تقليديًا بالطرق الصوفية؛ وتطورت في سياق سوسيو- تاريخي ثقافي معين، لتصبح كأحد أهم المكونات الأساسية في النسق الإجتماعي. واستطاعت أن تصنع لنفسها حيزًا خاصًا ضمن النسق الإجتماعي لما لبت اللحظة التاريخية لمساعدة مجتمعها. وفي هذا الإطار، تُقدم لنا في الذاكرة السياسية السنغالية بعض من نماذج تاريخية لحركات كاريزماتية تمكنت مِنْ جلب أتباع وأنصار كثر، مثل أحمدو بامبا، الحاج مالك سي، وعبد الله نياس،...إلخ. (Lucy, Creevey, 1985, p. 717)

لكون السنغاليين من أكثر الشعوب تمسكًا بالإسلام، (عيسى، 2017، صفحة 57) فلا يوجد غالبًا أي شخص غير منتمي لطريقة ما، فحوالي 90 بالمئة من المسلمين السنغاليين هم ينتمون للجماعات الصوفية. (Mbacké, 1998, p. 532) والإرتباط في علاقة روحية مع أحد المرابطين قضية محورية للغاية في حياة الناس، وتلعب دورًا رئيسيًا في تصرفاتهم وقراراتهم؛ بل هي مكونات أساسية لإستراتيجيات الناس للتقدم، أو في بعض الأحيان للبقاء على قيد الحياة. (Leonardo, Villalon, 1995, p. 121) وعلى العموم، تتميز علاقة الشيخ ـ المريد بأنها علاقة ارتباط مستقرة ومتجذرة وترتكز على أساس روحي. (Donal, Cruise O'Brein, 2003, p. 196)

بشكل عام، هناك ثلاث طرق رئيسية في السنغال، القادرية الأقدم تاريخيًا، والتيجانية الأكثر عددًا، والمريدية الأكثر نفوذًا.

أ – الطريقة القادرية

تعد الطريقة القادرية التي تنسب للشيخ عبدالقادر الجيلاني في القرن 12 ميلادي في بغداد، هي احدى أعرق وأقدم وأوسع الطرق انتشارًا في العالم الإسلامي، وهي أم الطرق الصوفية في افريقيا، وأبرز بوابات الإسلام إلى افريقيا، فالكثير من الشعوب الإفريقية لم تعرف الإسلام إلا من خلال الطريقة القادرية. وتم الأخذ بهذه الطريقة أثناء مرور الشيخ عبدالكريم المغيلي التلمساني بموريتانيا وهو في طريقه إلى نيجيريا في القرن 15. (سيلا، 1985، صفحة 129) ومن ثم بدأت تنتشر في عموم غرب افريقيا والسنغال على يد عدة شيوخ، أمثال الشيخ أحمد البكا الكنتي، والشيح محمد الفاضل وابنه ماء العينين، والشيخ سعد آبيه، وأخيرًا الشيخ المختار الكنتي. (ساتي، 2006، صفحة 111)

في السنغال، يعود الدور الأكبر في نشر الطريقة حتى عم انتشارها في البلاد بنهاية القرن 18، بجهود الشيخين مختار الكنتي، والشيخ محمد الفاضل. (Mbacké, 1998, p. 531) يمثل عدد أتباع الطريقة حوالي 10 بالمئة من مسلمي السنغال، وتتركز في شمال البلاد، في المنطقة المحيطة بسانت لويس، العاصمة السابقة لغرب إفريقيا الفرنسية. (Volk, Thomas, 2017, p. 39) أنشأت القادرية مدارس قرآنية لعبت دورًا كبيرًا في نشر اللغة العربية، والثقافة الإسلامية بالمنطقة.

ب – الطريقة التيجانية

تُمثل الطريقة التيجانية أكبر الطرق الصوفية في السنغال، حيث يُشكل حوالي 50 في المائة من المسلمين السنة في السنغال. (Volk, Thomas, 2017, p. 39) ويعود الفضل في تأسيسها إلى الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن مختار التيجاني المولود بعين ماضي بولاية الأغواط بالجزائر. (ساتي، 2006، صفحة 112) وامتداد التيجانية إلى ربوع غرب افريقيا، لتصبح أحد أهم منافذ الهوية الروحية لشعوب افريقيا الغربية (محمد، 2021، صفحة 155) راجع بشكل كبير إلى الشخصية الكارزمية التي تمتع بها الحاج عمر بن سعيد تال أو الحاج عمر الفوتي، وهو من أهم مرجعيات الطريقة التيجانية في غرب افريقيا؛ حيث يُعرف في الأدبيات التيجانية بالسلطان المجاهد، ليس فقط لأن المعارك التي حضرها بنفسه كانت اثنتين وثلاثين معركة، بل يَعتبره الكثير من المؤرخين في كونه أول زعيم افريقي قاوم الإستعمار الفرنسي في غرب افريقيا.

إذًا، يُمكن القول أنَّ التيجانية جاءت كحركة ثورية مخالفة للقادرية التي عُرفت بالتسامح، وعقدت العزم على نشر الإسلام، وتأسيس دولة إسلامية في منطقة غرب افريقيا والسنغال بقوة السلاح. (كريدية، 2007، صفحة 45) ويوجد في السنغال فرعين أساسيين للطريقة التيجانية وهما: عائلة الحاج مالك سي ومقرها في تيفوان، وعائلة الحاج ابراهيم نياس ومقرها في كولاك. وتتولى ادراتهما شيوخ يعملون على نشر اللغة العربية، والثقافة الدينية الإسلامية.

ج – الطريقة المريدية

هي جماعة أخوية محلية صاحبها سنغالي المولد والنشأة والتكوين، وظهرت هذه الطريقة في آواخر القرن 19 على يد الشيخ أحمدو بامبا امباكي من قبيلة الولوف المعروف باسم خادم/خديم الرسول صلى الله عليه وسلم. كانت في البداية حركة ريفية، ثم امتدت بعد ذلك إلى المراكز الحضرية. واليوم، يُقدر عدد أتباع المريدية ما يقرب من 35 في المائة فقط من مسلمي البلاد، (Volk, Thomas, 2017, p. 40) وهي من الطرق الأكثر حضورًا في المجتمع السنغالي، والأكثر تأثيرًا في حياة الأفراد والجماعات بالرغم من أنَّ عدد أتباعها هم أقل مقارنة بالتيجانية. (Glover, 2007, p. 14) تاريخيًا، تمركزت الطريقة المريدية في حوض الفول السوداني، وعمل شيوخها على تطوير زراعة الفول السوداني، حيث سمحت لهم هذه الإستراتيجية أولاً، بالحفاظ على نفوذها داخل المجال السياسي السنغالي، وثانيًا، بإبقاء ضمان اجتماعي جماعي، والحاضنة المجتمعية للمجتمع السنغالي. (Lucy, Creevey, 1985, p. 719) (Donal, Cruise (Robinson, 2000, pp. 45-46) O'Brein, 2002, p. 11) (Cruise, 1970, p. 578)

2.2 مظاهر نفوذ الطرق الصوفية في السنغال

أصبح تأثير الطرق الصوفية شاملًا تقريبًا في كافة مناحي الحياة؛ في الفكر، اللغة، الفن، الرياضة، الملابس، وحتى الأطعمة،..إلخ. فعلى سبيل المثال، في الريف السنغالي لا تجد بيتًا إلّا ونمط بناءه مستوحى من تعاليم شيوخ الصوفية، كما لا تجد أي مغني سنغالي واحد لم يخصص أغنية لأحد رجال الدين. وكل هذا يشير إلى أَنَّ تعاظم دور الطرق الصوفية واحتلالها لمركز ثقل سياسي واجتماعي واقتصادي، راجع لعدة أسباب مهمة يمكن ذكرها كما يلي:

أ– المجال الديني

لما دخل الإسلام الصوفي إلى منطقة غرب إفريقيا والسنغال، راعى البيئة الإجتماعية والثقافية والتاريخية المحلية، واستطاع التغلغل بشكل تدريجي. يُلاحظ الأستاذ محمد شقرون، أَنَّ نجاح الطرق الصوفية في احتلالها لمكانة رفيعة لدى المجتمع الولوفي يعود لقدرتها على فهمها للواقع الإفريقي وللثقافة المحلية، ومِنْ ثَمَّ فهي عملت على التكيف مع هذا الواقع حتى أصبح الدين الإسلامي يُعتبر المحدد الرئيس لهويتها. (شقرون، الإسلام الأسود، 2007، صفحة 110) وعملت بشكل كبير في خلق دينامية استبات سلمية وتدريجية للإسلام الصوفي مثلما أسماها الباحث جيمس سترينغ James Searing بالثورة الهادئة للإسلام.(James, 1993) هذه الإستراتيجية مكنتها من نشر الإسلام في السنغال بسلاسة، ما جعل الإسلام الصوفي ينتشر ويتجذر داخل النسق الإجتماعي بشكل عميق للأسباب التالية:

* يُعد الدين العنصر الجوهري والديناميكي في حياة الشعوب الزنجية؛ إذ أنَّ المعتقدات المحلية تؤمن بوجود السحر والشعوذة، وتخاف من القوى الغامضة الشريرة. وجاء احترام الشيخ عمومًا كونه يملك قدرة هائلة في هذا المجال. فحسب اعتقادهم، الشيخ يمتلك مهارة خارقة لحمايتهم من السحر والشعوذة والعفاريت ومن خطر العين وقوى الشر الخفية، وله القدرة أيضًا على تحضير التمائم والطلاسم، واستعمال التعويذات والطرق السحرية المشتقة والمستمدة من الإسلام. (Cruise, 1970, p. 565) وعلى هذا الأساس، فالشيخ يُنظر إليه حسب اعتقادهم بأنه مرسل من قبل الخالق، وجاء لحمايتهم من قوى الشر المخفية، لذلك دعواته وريقه قوة روحية وسعادة وبركة، ومن هنا فطاعة الشيخ واجبة. (ديشان، 2011، صفحة 146)

* اكتسبت الطرق الصوفية في السنغال مكانة متميزة، لكونها لم تسع أبدًا لتنافس التقاليد المحلية، أو أنْ تشكل تهديدًا على معتقداتهم. ويذهب الباحث السنغالي الشيخ تيديان سي Cheikh Tidiane Sy بالقول بأنه حصل تزاوج ما بين الإسلام والمعتقدات المحلية، بحيث تم اعتناق الإسلام من دون التخلي التام عن التقاليد والعادات المحلية. (Tidiane Sy, 1969, p. 42) ومن هنا، كانت نظرة شعوب المنطقة في أنَّ الإسلام الصوفي لم يأت لمعاداة معتقداتهم، بل عزز قيم التماسك المجتمعي والروح الجماعية التي لطالما اشتهرت بها الحضارات الإفريقية القديمة.

* يُعتبر النجاح الباهر للطرق الصوفية هو المحافظة على التراتبية المجتمعية للولوف، ما جعل الولوف لا يرون في الصوفية منافسًا للتنظيم الإجتماعي التقليدي. (Tidiane Sy, 1969, p. 33) هذا على عكس الإدارة الإستعمارية الفرنسية الحاملة للقيم الفردية التي أسقطت سلطة زعماء القبائل، مما أدى إلى خلخلة البنية الإجتماعية للولوف، (ديشان، 2011، صفحة 177) وانهاء نظام حكم الولوف واستبداله بهيئة إدارية استعمارية. وهكذا، استطاعت الطرق الصوفية أنْ تؤسس لوجدان روحي تم فقدانه بانتصار القوات الإستعمارية عسكريًا، مما فسح المجال للطرق الصوفية بأن تتغلغل داخل المجتمع الولوفي بالسنغال، وأصبحت الحاضنة الدينية له، وهذا ما جعل الولوف يحترمون ويثقون في المؤسسات الصوفية. (Cruise, 1970, p. 564)

إذًا، إن الأثر المتراكم لاعتقادات الولوف وللبيئة الإجتماعية لقرون عديدة أدى بهم إلى تحول الإنتماء الصوفي الغير ملزم إلى خضوع تام تأسس على دافع روحاني، لاسيما عندما تحولت الطرق الصوفية بفعل الإستعمار من خادم للمجتمع الولوفي إلى حام له في السنغال، والذي أصبح يخاف على معتقداته وتنظيماته التقليديانية. وهذا ما جعل الطرق الصوفية تزداد ترسخًا في نفوس المجتمع الولوفي، وبالتالي، أصبح يدين بالولاء التام للطرق الصوفية.

ب – المجال الإجتماعي

لا تقتصر قوة الطرق الصوفية في السنغال على المسائل الروحية والدينية فقط، بل تعدته إلى الجانب الإجتماعي. ونلمس ذلك من خلال قيامها بعدة أدوارًا اجتماعيةً متمثلةً فيما يلي:

* التضامن الإجتماعي: اعتمدت الطرق الصوفية على تكريس ثقافة التطوع والعمل الجماعي، والذي يعد جزءًا لا يتجزأ من التقاليد الإفريقية. (Chazan, 1982, p. 20) فالطريقة المريدية على سبيل المثال دورًا حاسمًا ليس فقط في مساعدة الفلاحين والفقراء والمحتاجين الذين تضرروا جراء السياسات الإستعمارية، واقتصاد تجارة الرقيق، (O'Brein, Coulon Christian and Donal Cruise, 1989, pp. 162-164) بل تعداه إلى القيام بدور اجتماعي واقتصادي تجسد في بناء مساجد ومدارس ومستشفيات،...إلخ (Cruise, 1970, p. 572) الأمر الذي جعل المجتمع الولوفي يثق في الطريقة المريدية. ويذهب الأستاذ محمد شقرون بالقول بأن نجاح المريدية في أنْ يكون لها أتباع كثر وحضورًا قويًا في نفوس الولوفيين هو اهتمامها بالفئات الهشة والمحرومة من

المجتمع الولوفي. (شقرون، الإسلام الأسود، 2007، صفحة 86) ومن هنا، زاد ارتباط مصير الفرد في المجتمع الولوفي بالطرق الصوفية أكثر من أي تنظيم آخر.

* الوساطة بين الدولة والمجتمع: ساهمت المكانة التي استمدتها الطرق الصوفية ضمن النسيج الإجتماعي السنغالي من أنْ تنشأ شبكة من العلاقات العاطفية ما بينها والمجتمع، ما أتاح لها بأن تمارس نفوذًا على الدولة أكثر من أي جهة أخرى. (Leonardo, Villalon, 1999, p. 134) فللطرق الصوفية تنظيمات جعلها تتغلغل داخل النسيج الإجتماعي، ومكنتها من أنْ تحظى بمكانة كبيرة. فمن خلال Daras التي تعتبر بمثابة مدارس قرآنية أو كتاتيب تقدم أساسيات التعليم الإسلامي، وحفظ القرآن الكريم. (Gellar, 2005, p. 114) أو عبر نظام Daairas[1] والحضور المنتظم للإحتفالات الدينية التي تصنع من الطرق الصوفية منظمات تجمع الآلاف من الأتباع والمريديين تحت رعاية زعماء الطرق الصوفية. (Leonardo, Villalon, 1995, p. 260) إذًا، يمكن القول بأن الطرق الصوفية هي منظمات جماهيرية حقيقية لها ثقل داخل النسق العام لا يمكن للدولة أنْ تتجاهلها. وعلى هذا الأساس، عملت الطرق الصوفية على لعب دور الوسيط ما بين المجتمع والدولة، كنقل الإهتمامات الشعبية، تسهيل الوصول إلى السلع والخدمات الأساسية والوظائف الخاضعة لهيمنة الدولة، ...إلخ.

ج – المجال السياسي

استطاعت الصوفية في السنغال من أنْ تكون فاعل مركزي ضمن النسق الإجتماعي العام؛ لتمتعها بقدر من الإستقلالية المالية، وأتباع كُثُر، الأمر الذي جعلها قوة اجتماعية لا يمكن للدولة أنْ تتجاهلها. ومن هنا، جاءت مشاركة الطرق الصوفية في الحياة السياسية الوطنية، وتجسد التعاون السياسي بين الطرفين كما يلي:

*الطرق الصوفية كصمام آمان اتجاه الأزمات السياسية المستعصية: لطالما كانت العاصمتين الدينيتين المريدية (توبا) والتيجانية (تيفوان) مركزين أساسيين لحل الأزمات المستعصية للدولة السنغالية. فعلى سبيل المثال، عرفت

[1] مصطلح **Daaira** مشتق من اللغة العربية "الدائرة"؛ وهي تعني الحلقة الدينية، أو الحلقة العلمية التي تعقد في المساجد يجلس الشيخ أو العالم ويلتف حوله الطلاب على شكل دائرة لتلقي علوم الدين الإسلامي. وعبر التاريخ الإسلامي، تطور دور هذه الحلقات من ميادين العلم والمعرفة إلى ميادين خدمة المجتمع. في السنغال، **Daaira** هي أحد السمات المهمة للنموذج الصوفي السنغالي، حيث ارتبطت في الذاكرة السنغالية بالنزوح الجماعي للسكان من الريف إلى المدن الكبرى السنغالية. لـ **Daaira** عدة أدوار تتمثل فيمايلي: * تلبية الاحتياجات الاجتماعية لمنتسبي الطريقة. * تلعب دورا مهما في التنظيم الجيد للاحتفالات الدينية والأنشطة الدينية المختلفة. * تعزيز العلاقة بين المريدين وشيوخ الطريقة. * تمتين تماسك المريدين كمجموعة لاستمرار قوة الطريقة.

السنغال في سنوات الثمانينيات من القرن 20 صعود أنصار الإسلام المتشدد الذين طالبوا بارساء نظام سياسي مبني على تطبيق الشريعة الإسلامية في كافة مناحي الحياة. (O'Brein (Gellar, 2005, p. 146) ورأوا أنَّ معظم المشاكل الإقتصادية والإجتماعية والأخلاقية التي يعاني منها (C. C., Senegal, 1989, p. 162) جزءًا كبيرًا من المجتمع السنغالي مرده في إتباع النموذج الغربي المسيحي. هنا، كان تصور الدولة السنغالية اتجاه هذه الحركات الإسلامية المتشددة أنها تهدد التماسك المجتمعي والإستقرار السياسي، ولكن مؤسسات الدولة السنغالية لم تلجأ إلى استعمال العنف، أو زج المعارضين الإسلامويين في السجون، كما حدث في الكثير مِنَ الدول الإسلامية، (O'Brein, Coulon Christian and Donal Cruise, 1989, p. 161) بل عملت، أولًا، على تعزيز الإسلام الهادئ والمعتدل في الدولة، وثانيًا، بالحفاظ على الإستقرار والتسامح ما بين السنغاليين عن طريق تجنب العنف.

إذًا، سعت الدولة بالتعاون مع الطرق الصوفية إلى احتواء الأصولية الإسلامية والسيطرة عليها دون اللجوء إلى العنف أو الاقصاء. وتشير الذاكرة السياسية السنغالية كيف ساهم المرابطون في مد يد المساعدة للدولة لتجنب الصدام مع الحركات الدينية المتشددة، وبالتالي تجنب استعمال العنف. فمن بين أهم أسباب فشل الحركات الإسلامية الأصولية هو عدم وجود قاعدة إجتماعية عريضة، لذلك سعت إلى احتواء الفئات الهشة والمحرومة في غياب الدولة، غير أَنَّ قدرة الإسلام الصوفي المهيكل في مد يد المساعدة والدعم للفلاحين والمعدمين والفقراء سواء في المدن أو القرى والمداشر قد تصدى لمحاولات املاء الفراغ مِنْ قبل الحركات الأصولية الإسلامية، وبالتالي توسيع قاعدتها الإجتماعية. فللطريقة التيجانية تقليد على التواصل الإسلامي الإجتماعي، وكذلك بالنسبة للطريقة المريدية التي تقدم نظامًا للتضامن يتكيف جيدا مع مواقف التغيير والأزمات. (O'Brein, Coulon Christian and Donal Cruise, 1989, pp. 158-162) ونتيجة لذلك، لم تحقق الحركات الأصولية الإسلامية سوى القليل مِنَ النجاحات بين جماهير المسلمين السنغاليين الذين ظلوا مخلصين للأخويات الصوفية.

*دور الطرق الصوفية في بناء مؤسسات الدولة السنغالية: أسهمت الطرق الصوفية في انشاء حلقة ايجابية مثمرة من العلاقات الإجتماعية داخل النظام السياسي، مما ساعد في خلق قيم مشتركة ارتكزت على فكرة التسامح وارادة العيش المشترك بين مختلف الاثنيات، وبالتالي لم يعرف مسار عملية بناء مؤسسات الدولة السنغالية أي صعوبات مقارنة بجيرانها. وعلى اثر ذلك، يَعتبر الأستاذ كرويز أوبراين Cruise O'Brien أنَّ النجاح التاريخي الذي أنجزته السنغال في وقت مبكر هو قدرتها على بناء الدولة السنغالية ما بعد الإستعمار، (O'Brein D. C., Senegal,

(Alfred, Stepan, 2012, p. 379) 1978, p. 187) أين كان الولاء للدولة على حساب الولاء للإثنية، مما انعكس ايجابًا في ظهور التماسك في مؤسساتها والتعايش السلمي بين مختلف الجماعات الإثنية والدينية المشكلة للسنغال. هذا على خلاف العديد من الدول الإفريقية التي كان الولاء فيها للجماعات الإثنية على حساب الولاء للدولة، مما أسهم بشكل كبير في ظهور الدولة الفاشلة.

3. دور الطرق الصوفية في ترسيخ السلم المجتمعي

مكّن الإرث التاريخي للطرق الصوفية مِنْ احداث تحول اجتماعي وثقافي تخطى من خلاله البلد للكثير من العوائق والحواجز الإجتماعية؛ كالتخلص من الولاءات الإثنية، نشر تعاليم الإسلام الحنيف، خلق الإسلام الصوفي قيم التآخي، نبذ العنف، ساهم الإسلام في ايجاد الوجدان المشترك بغض النظر عن أعراق وألوان وألسن الناس ...إلخ. فالمكانة التي حظيت بها الطرق الصوفية هو راجع بالأساس إلى دينامية الإستنبات السلمية والتدريجية للإسلام الصوفي، كما أسماها الباحث جيمس سترينغ James Searing بـ "الثورة الهادئة" للإسلام في السنغال، (James, 1993) ما جعله يتجذر داخل النسق الإجتماعي بشكل عميق، ويكون له تأثيرًا في مختلف جوانب الحياة. وبالفعل، استطاعت الطرق الصوفية عن طريق مؤسساتها الإجتماعية والتعليمية من أنْ يكون لها دور فعال في بناء التجانس الإجتماعي بين مختلف الفئات المختلفة، وساهمت في بناء القيم الإجتماعية المشتركة التي تهدف الى ايجاد سبل العيش المشترك.

1.3 تسهيل التعايش بين الإثنيات

تُمَثِّلُ الإثنية في غرب إفريقيا المصدر الأساسي للفخر والإنتماء للهوية، ولطالما أُعْتُبِرتَ البديل الأساسي للهوية الوطنية؛ بمعنى آخر، يُعد "جوهر" الإثنية كما جادل الأستاذ أنطوني سميث Smith Anthony بأنها مجمع 'رمز الأسطورة'، وهو الذي يضمن فرص بقاء جماعات اثنية معينة على قيد الحياة، حيث تحاول نقلها إلى الأجيال القادمة. (ASmith, 1986, p. 15) بهذا المعنى، تم تدمير العديد مِنْ أجزاء إفريقيا بسبب الصراعات الإثنية والإنقسامات التي أدت إلى الحرب وسفك الدماء. فعلى سبيل المثال، الإبادة الجماعية في رواندا، الحرب الأهلية في نيجيريا، واضطهاد الأقليات الإثنية في العديد مِنَ الدول الإفريقية. إن هده المآسي تعود بدرجة كبيرة إلى انتشار ثقافة العنف واللاحوار بين مختلف الجماعات الإثنية.

نجت السنغال مِنْ هذه الفظائع بفضل تقاليدها التي تعود إلى قرون عديدة، وتمكنت مِنْ إيجاد حل سلمي حاسم للتنوع الإثني، وأصبح نموذجًا يحتذى به في الإنصهار الإثني، وبناء التجانس والتعايش بين الإثنيات المختلفة. فعلى سبيل المثال، ما يؤكد على أَنَّ الإثنية في السنغال غير مثارة، هو قدرة ليبولد سنغور الفوز برئاسة البلاد بعد الإستقلال رغم أنه ينتمي لأقلية السرير، وللأقلية الكاثوليكية الرومانية، (اميجن، 2014، صفحة 3) وهذا على خلاف الكثير مِنَ الدول الإفريقية التي لطالما كان رئيس البلاد ينتمي إلى الإثنية الأكثر عددًا. فكيف يمكن للسنغال التي يزيد عدد سكانها عن 80 في المائة من المسلمين، أنْ يكون لديها رئيس كاثوليكي لمدة عقدين من الزمن دون أعمال شغب دينية أو "حاجة" لقمع صارم؟ في الواقع، كانت السنغال منذ استقلالها عام 1960 واحدة من أكثر المجتمعات انفتاحًا في إفريقيا جنوب الصحراء. (Mazrui, 1994, p. 123)

إن الشواهد التاريخية تؤكد لنا أنَّ الطرق الصوفية لقد لعبت في صناعة هذا السلم بين مختلف الإثنيات، ويُعد هذا الإنجاز التاريخي الذي تم بناءه اجتماعيًا لم يجنب السنغال فقط مِنَ الوقوع في متاهات مشاكل الأمة التي طالما عرفتها الكثير مِنْ دول غرب إفريقيا، ولكنه كان شرطًا حاسمًا في التأسيس لثقافة متسامحة، والتي سهلت للتعايش السلمي بين مختلف الجماعات الإثنية، ثم ساهمت في ارساء ثقافة السلم داخل المجتمع السنغالي.

لدى السنغال مجموعة متنوعة مِنَ الجماعات الإثنية التي يُمكن أَنْ تكون نظريًا المصدر الرئيسي للهوية، أو أَنْ تكون متعارضة مع بعضها البعض. وتحوي السنغال على عشرون اثنية، وأهم هذه الجماعات الإثنية هي الولوف 42,7 بالمائة، والبولار 23,7 بالمئة، والسير 14,9 بالمائة، والديولا 5,3 بالمائة، والماندينغ 4,2 بالمائة. (Finances, 1993, p. 25) استطاعت الجماعات الإثنية على مسار تاريخي طويل مِنْ بناء جسور التعايش السلمي فيما بينها، ومكّن للسنغال بأن تصبح نموذجًا يحتذى به فيما يخص تقاليد التسامح الإثني، وبالتالي ازداد رصيدها مِنَ التجانس الإجتماعي في الإبتعاد مِنْ فرص نشوب الحرب الأهلية، أو انتشار العنف في المجتمع.

وما يفسر هذا التجانس الإثني هو قدرة المجتمع السنغالي على صناعة مصفوفة متبادلة مِنْ "طقوس الاحترام" (Alfred, Stepan, 2012, pp. 379-401) الأفقية. فساعدت أولاً، في ايجاد توافقًا بين الجماعات الإثنية، ثم خلقت التسامح والإحترام في النهاية. ويجب أَنْ تكون طقوس الإحترام عامة ومتكررة ومتبادلة؛ لأن احدى أهم وظائفها الرئيسية هو انتاج المعرفة التي يتشاركها جميع الفاعلين. وفي هذا الصدد، يجادل الأستاذ

شوي ميشال سوك–يونغ Chwe Michael Suk-Young بأن نجاح رسائل الطقوس لا يتوقف على ارسالها فقط، بل يتعين أيضًا – وهو أمر جوهري – على ما إذا كان الناس يدركون أَنَّ الآخرين يتلقونها أيضًا؛ بمعنى آخر لا يتعلق الأمر فقط بمعرفة الناس بالرسالة، إنه يتعلق أيضًا بمعرفة الناس أَنَّ الآخرين يعرفون عنها، أي 'دراية تامة للرسالة'، (Michael Suk-Young, 2001, pp. 1-11) وبهذا الشكل تُصبح المعرفة متاحة لجميع الناس، وبالتالي تساهم هاته المعرفة المشتركة إلى حد ما في خلق الثقة ما بين الناس، والمساهمة في إيجاد هويات جماعية مشتركة. تقريبًا كل طقوس الإحترام السنغالية مهيكلة لإنتاج وتوسيع مثل هذه المعرفة المشتركة حول الإحترام المتبادل. وتكمن أهمية طقوس الإحترام في قدرتها على احداث التغيير، والمساهمة في خلق حلقة إيجابية مِنَ العلاقات الإجتماعية داخل النظام السياسي.

من أهم استراتيجيات الإحترام الحاسمة تتمثل في علاقات المزاح؛ وهي تمارس بشكل يومي بين الجماعات الإثنية، وتجسد عنصرًا أساسيًا مِنَ التقاليد السنغالية التي تم بناءها اجتماعيًا. ويشير الأستاذ نديايي رفائييل Raphael Ndiaye في تفسيره لقرابة المزاح كأساس لمشروع سياسي؛ فهي تقدم الهوية السياسية الوطنية السنغالية على أنها متماسكة وشاملة، وذات جذور تاريخية. (Dennis, Galvan, 2006, p. 820) ومِنْ وجهة النظر هذه، فإن حقيقة أَنَّ معظم الجماعات الإثنية الرئيسية في السنغال مرتبطة بجماعة اثنية أخرى واحدة على الأقل في البلاد مِنْ خلال قرابة المزاح، فضلاً عن وجود مثل هذه العلاقات على مستويات أدنى (بين العائلات، داخل العائلات، بين القرى، وما إلى ذلك) تشكل خيوطًا متناغمة لنسج الهوية الوطنية.

وفي هذا السياق، أكدت العديد مِنَ الدراسات الإثنوغرافية لعلاقات المزاح التي تساهم في تحسين العلاقات بين الجماعات الإثنية. ويذهب كلاً مِنَ الأستاذين جالفن دنيس Galvan Dennis و فردينانند دو جونغ Ferdinand De Jong وآخرون إلى أبعد مِنْ ذلك، ويؤكدون على أَنَّ علاقات المزاح السنغالية هي بمثابة المؤسسة التوفيقية الغير الرسمية التي يُمكن لها في بعض الأحيان أَنْ تساهم في حل الصراعات. ويعطي الأستاذ جالفن Galvan مثالاً بارزاً لما فعله محافظ داكار السابق سامبو ساليو Sambou Saliou وهو الذي ينتمي لاثنية الديولا حينما تجنب نزاع دموي محتمل بين قرويين مِنْ اثنية السرير واثنية الديولا. (Dennis, Galvan, 2006, p. 823) ومِنْ جهته، تشير الدراسة المهمة للأستاذ فردناند Ferdinand التي تناولت أهمية ادراج علاقات المزاح في إيجاد حل لمواجهة تمرد حركة القوى الديمقراطية الكازامانسية. واستعملت الدولة علاقات المزاح

كاستراتيجية أساسية دون اللجوء للعنف اتجاه اثنيتي الديولا والسرير، هاته الإستراتيجية هي نابعة مِنَ التقاليد السنغالية لعلاقات المزاح الشائعة والناجحة بين الجماعات الإثنية. (Ferdinanad, 2005, pp. 389-413)[2]

في الواقع، ساهمت الطرق الصوفية في انتاج علاقات المزاح بين الجماعات الإثنية، ما جعل العلاقات الإثنية متسامحة نسبياً، ونتيجة لذلك، وكما يشير الأستاذ كرويز أوبراين Cruise O'Brien، بأن النجاح التاريخي الذي أنجزته السنغال في وقت مبكر هو قدرتها على ايجاد علاقات جيدة بين الجماعات الإثنية تتسم بالإحترام المتبادل، مما انعكس بشكل ايجابي في تحقيق الوحدة الوطنية، ومن ثم بناء الدولة ما بعد الإستعمار، (Donal, Cruise O'Brein, 2002, pp. 9-13; Alfred, Stepan, 2012, p. 379) حيث ضمن هذا العقد الإستقرار النسبي خلافًا لما حدث مِنْ هزات عنيفة للكثير مِنَ المجتمعات في غرب إفريقيا نظرًا لوجود مستويات منخفضة مِنَ التجانس الإثني.

2.3 ترسيخ التسامح الديني بين الجماعات الدينية

لطالما تم توظيف الدين كقوة دافعة الأكثر تأثيرًا لتعبئة حركة جماعة 'أ' ضد جماعة 'ب' كما حصل في الكثير مِنَ النزاعات التي شهدتها القارة الإفريقية، وغالبًا ما يكون نشأة لمثل هذه النزاعات هو حاصل لنتيجة لانعدام الثقة بين الجماعات الدينية، ولا يوجد سبيل للإرتباط بينهم، وبالتالي يُمكن أَنْ يؤدي إلى تفجر العنف، فالثقة هي سلعة نادرة الوجود؛ والقواسم المشتركة بين الجماعات تُبنى اجتماعيًا، وتترسخ تاريخيًا. في السنغال، لا تشعر معظم الجماعات الدينية بأنهم عُوملوا بطريقة غير عادلة، أو معاملة تتسم بالتمييز ضدهم، أو تعرضوا لإنتهاكات، أو حُرموا مِنْ حقوقهم المشروعة، فالدين لم يكن أبدًا مصدراً للنزاع في السنغال. وهناك اجماع لدى السنغاليين على التسامح الديني، وتجنب خطاب التعصب والكراهية، وقد تم تصميم ممارسات اجتماعية مِنْ شأنها اظهار الإحترام المتبادل بين الأديان الموجودة في السنغال مِنْ جهة، ومِنْ جهة أخرى بين الجماعات الدينية مِنْ نفس الدين.

وفي هذا الصدد، استطاع السنغاليون تأسيس لاهوت متسامح ومسالم ساهم إلى حد كبير في خلق طقوس الإحترام الديني ليس فقط مع الأديان الأخرى الموجود في السنغال، بل بين الطرق الصوفية الإسلامية ذاتها. (Alfred, Stepan, 2013, p. 220) ومِنْ أمثلة هاته الطقوس، أَنَّ الكاثوليك والمسلمين ساعد بعضهم

[2] هاته الدراسة هو ثمار عمل بحثي ميداني مضني دام خمسة عشر شهرًا من العمل في السنغال الذي تم إجراءه الباحث بين عامي 1994 و 1995، ناهيك عن الزيارات اللاحقة إلى السنغال في 1996 و 1997 و1998، وهي ممولة من طرف 'مدرسة أمستردام لبحوث العلوم الإجتماعية' و'المؤسسة الهولندية للنهوض بالبحوث الإستوائية'.

بعضا في بناء مسجد وكنيسة في مدينة Popenguine، ويوجد في مدينتي زيغينشور وفاديوث مقبرة مشتركة للمسلمين والكاثوليك، كما أَنَّ مدينة فاديوث عندما دمر إعصار الكنيسة الكاثوليكية، تم اعادة بناءها مِنْ طرف المسلمين، وتساهم مثل هذه الأعمال في توطيد العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، ومِنْ ثَمَّ في بناء الثقة. كما أَنَّ الطرق الصوفية استطاعت أَنْ تعطي نموذجًا للتعايش، وبناء السلم المجتمعي. ويؤكد الأستاذ ليوناردو فيلالون Lennardo Villalon أَنَّ : "الإنقسامات الإجتماعية والسياسية القائمة على الدين، سواء بين المسلمين وغير المسلمين، أو بين الطرق الصوفية تقريبًا غير موجودة (Donal, Cruise O'Brein, 2003, pp. 12-13)." (Leonardo, Villalon, 1995, p. 2) وبالفعل، استطاع القادة الدينيون مِنْ مختلف الطوائف الدينية مِنَ الوصول إلى لحظة تاريخية مِنَ النضج، كان فيها الإتفاق على تجنب البحث عن الحقيقة في الدين، والتركيز فقط على الدعوة إلى الود والوئام.

إذًا، لقد كان المسار التاريخي الطويل الذي استطاع فيه السنغاليون بناء ميثاق اجتماعي أفقي داخل المجتمع، وايجاد خطاب عقلاني اتجاه الآخر التأكيد على أَنَّ الفهم الصحيح للقرآن الكريم هو في جوهره دين التسامح ويعنى بالسلام، بل تحث آياته على التنوع والإختلاف ما بين البشر بدون النظر إلى لونه، أو دينه، أو عرقه، أو أصله. فيذكر عبدالعزيز كيبي، المنسق الرسمي للإعلام للطريقة التيجانية في تيفوان أنه هناك العديد مِنَ الآيات الموجودة في القرآن الكريم التي تؤكد على أَنَّ الله تعالى خلق التنوع في الكون. (Alfred, Stepan, 2012, pp. 379-401) ومِنْ هاته الآيات الكريمة على سبيل المثال التي يقول الله عز وجل ما يلي: "**وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**" (سورة الحجرات، الآية 13)، أو "**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة**" (سورة المائدة، الآية 48)، أو "**لا اكراه في الدين**" (سورة البقرة، الآية 256)، أو "**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**" (سورة الكهف، الآية 29). وهكذا، فإن اختيار المعتقد، أو الخروج مِنْ دين إلى دين آخر غالبًا ما ينظر إليه في السنغال على أنه ينسجم مع آيات القرآن الكريم.

ويؤكد الباحث السنغالي سليمان بشير ديان من جهته بأنه قد تم نزع الشرعية عن قطع اليدين أو الرجم سواء مِنْ خلال العادات التقليدية، أو مِنْ قبل الطرق الصوفية، أو مِنْ قبل الدولة. ومَرَّدُ ذلك حسب بشير ديان في أَنَّ الله موجود داخل كل إنسان بغض النظر عن انتماءه الديني، (Alfred, Stepan, 2012, p. 384) فهو خليفة الله على الأرض، لذلك يُعَدُ أي اعتداء على الإنسان بمثابة اعتداء على الله تعالى. إذاً، حقوق الإنسان متأصلة في السنغال، وتتماشى مع قيم المجتمع السنغالي، وتمكن مِنْ ترسيخها انطلاقًا من داخل التقاليد المجتمعية والدينية.

يمكن القول في النهاية، أن البلد الذي لا يكون فيه الدين مصدرًا للنزاع، عندها يُمكن للجماعات الدينية أَنْ تؤدي وظيفة صنع السلام، لذلك تُعتبر هذه هي قصة النجاح النسبية للدولة السنغالية، حيث تُمثل الرموز الدينية أكثر أدوات الإتصال السياسي الجماهيري فعالية، وتعمل على الحفاظ على الوحدة الوطنية لدولة السنغال.

4. خاتمة واستنتاجات

ترتكز تعاليم الصوفية في نسخته السنغالية على مبدأ التعايش السلمي، اشاعة التراحم بين الناس، نشر ثقافة الحوار بين الأديان، ونبذ العنف والتطرف بكل صوره ومظاهره، وهذا نابع في أنَّ الإسلام في جوهره هو دين التسامح والمحبة والسلام. وعلى هذا الأساس، ظهر دور الطرق الصوفية بشكل بارز كصمام آمان للإستقرار والوحدة الوطنية فيما بين الإثنيات المختلفة المشكلة للمجتمع السنغالي بعد استقلال السنغال، وخلقت مجتمعًا وطنيًا متماسكًا، والعلاقات بين الجماعات المختلفة علاقات غير صراعية، بحيث أَنَّ كل الجماعات المشكلة للسنغال أصبحت تشترك في لغة واحدة وتنظيم اجتماعي مشترك، ولم تكن له انقسامات حادة تخلق انشقاقات ونزاعات بين سكانه في تاريخه المعاصر.

مكننا البحث في تجربة بناء السلم في السنغال من الوقوف على عدد من الإستنتاجات الهامة كما يلي:

– في الواقع، يُمثل وجود تجانس ما بين الجماعات الإثنية عاملاً حاسمًا في تجنب تدخل الجيش في السياسية، فالعنف السياسي الذي شهدته الكثير مِنَ الدول الإفريقية منذ نهاية العصر الإستعماري يعزى في جزء كبير منه إلى الإنقسامات ما بين الجماعات الإثنية. (Donal H. , 1985, pp. 472-473) ونتيجة لذلك، تصبح ثنائية الإثنية/الجيش هو المحرك الأساسي للحياة السياسية في الكثير مِنَ الدول الإفريقية. وبالفعل، تم تدمير العديد مِنْ أجزاء إفريقيا بسبب الصراعات الإثنية والإنقسامات التي أدت إلى الحرب وسفك الدماء، فعلى سبيل المثال، الإبادة الجماعية في رواندا، والحرب الأهلية في نيجيريا. وفق الكثير مِنَ الباحثين الذين يرون بأن مِنْ أهم عوامل الإستقرار في السنغال هو عدم الوقوع في فريسة الإنقلابات العسكرية. (Axel and Gnanguenon, 2015, p. 7)

– كان البناء الإجتماعي للتجانس الإثني والتسامح الديني ساعد في إيجاد شعور قوي نسبيًا في السنغال، ممّا أسهم في تقوية الشعور بالوحدة الوطنية.

– استطاعت الطرق الصوفية مِنْ أَنْ تكون صمام آمان للسنغال، مِنْ خلال العمل على تكريس مبدأ التعايش بين مختلف الإثنيات المشكلة للسنغال؛ فالإسلام في السنغال يركز بشكل كبير على ايجاد مجموعة القواسم المشتركة بين

جميع السنغاليين، وهاته القواسم ساعدت في التخلص مِنَ الإثنية التي تشتهر بها دول جنوب الصحراء الإفريقية، كما سمح مِنْ جهة أخرى في بناء جدار وطني لم تسلم منه الكثير مِنَ الدول الإفريقية.

– لقد ساعد التصوف السنغالي في خلق بيئة اجتماعية آمنة أرست أسس التعايش المشترك بين مختلف الجماعات، وانعكس ذلك على النظام السياسي السنغالي التي أصبح الإستقرار القيمة المركزية التي يتمتع بها.

– ساهم المكون الصوفي في تعزيز اللحمة الوطنية السنغالية والحفاظ على الانسجام الداخلي مع الجماعات الدينية الأخرى. فالتصوف في نسخته السنغالية ساهم في خلق طقوس الاحترام المتبادلة سواء ما بين عائلات الطرق الصوفية، أو ما بين الأديان في السنغال.

يمكن القول في النهاية، أن مساهمة الطرق الصوفية في ترسيخ دعائم الأمن والإستقرار في السنغال، يعود بشكل كبير بفضل ترسيخ القيم النبيلة لأتباعها وداخل المجتمع بشكل عام، مما أثر بشكل ايجابي في بناء انسان صالح ساهم في تجسيد السلم المجتمعي في السنغال، لذلك يُعتبرون أتباع الصوفية دعاة سلام أينما وُجِدُوا.

5. قائمة المصادر والمراجع

1.5 قائمة المصادر

– القرآن الكريم

2.5 قائمة المراجع

– قائمة المراجع باللغة العربية

- ابراهيم لعجال طارق وزكي أحمد، (2012)، التصوف بين التوظيف السياسي والثابت التاريخي. *Journal Al-Tamaddun*، 163-184؛
- سلمان المشهداني، سعد، (2019)، *منهجية البحث العلمي*، دار أسامة للنشر والتوزيع ونبلاء ناشرون وموزعون، عمان.
- محمد سيلا، عبدالقادر، (1985)، *المسلمون في السنغال..معالم الحاضر وآفاق المستقبل*، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، الدوحة.
- عيسى، عبدالله، (2017)، *الإستعمار الفرنسي للسنغال*، دار المكتب العربي للمعارف، القاهرة.
- اميجن، عبيد، (2014)، *التصرف السنغالي يدير البوصلة الحزبية*، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة.
- بوحوش، عمار ومحمود ذنيبات، محمد، (2007)، *مناهج البحث العلمي وطرق اعداد البحوث*، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر.
- سالم محمد، محمد، (2021)، الأبعاد الإجتماعية للتصوف في غرب افريقيا..قراءة في البنى والوظائف والعلاقات، تأليف سيدي أحمد ولد الأمير، *الطرق الصوفية في غرب افريقيا..السياقات الإجتماعية والأدوار السياسية*، مركز الجزيرة للدراسات الدوحة.
- شقرون، محمد، (2007)، *الإسلام الأسود*، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

- شلبي، محمد، (1997)، *المنهجية في التحليل السياسي..المفاهيم-المناهج-الاقترابات والأدوات*، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر.
- فاضل علي، محمد وابراهيم كريدية، سعيد، (2007)، *المسلمون في غرب افريقيا..تاريخ وحضارة*، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ساتي، مهدي، (2006)، *الإسلام وتداخل الثقافات في السنغال*،دار جامعة افريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم.
- ديشان، هوبير، (2011)، *الديانات في افريقيا السوداء*، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

– قائمة المراجع الأجنبية

- Augé Axel and Gnanguenon Amandine, (2015), Les armées Africaines et le pouvoir politique au sud du Sahara, N°28, Les Champs de Mars, Institut de recherche Stratégique de l'École Militaire, pp1-92؛
- Creevey Lucy, (1985), Muslim brothehoods and politics in Senegal in 1985, *The journal of Modern African studies*, Vol. 23, N°4, pp715-721؛
- Cruise O'Brien Donal, (1970), Le Talibé Mouride : la soumission dans une confrérie religieuse Sénégalaise, *Cahiers d'étude Africaine*, Vol.10, Cahier 40, pp562-578؛
- Cruise O'Brien Donal, (1977), A Versatile charisma, The Mouride brotherhood 1967-1975, *European Journal of Sociology*, Vol.18, N°1, pp84- 106؛
- Cruise O'Brien Donal, (1978), Senegal, Dans J. Dunn, *West African States : Failure and Promise*, Cambridge University Press, New York.
- Cruise O'Brien Donal, (1989), Senegal. Dans J. D. Donal Cruise O'Brein, *Contemporary West African States*, Cambridge University Press, New York.
- Cruise O'Brien Donal, (2002), *La construction de l'Etat au Sénégal*, Karthala, Paris.
- Cruise O'Brien Donal, (2003), *Symbolic Confrontations : Muslims Imagining the state in Africa*, Palgrave Macmilan, New York.
- De Jong Ferdinand, (2005), A Joking Nation, Conflict resolution in Senegal, *Canadian Journal of African studies*, Vol.39, N°2, pp389-413؛
- Gellar, Sheldon, (2005), *Democracy in Senegal : Tocquevillian analytics in Africa*, Palgrave Macmillan, New York.
- Galvan Dennis, (2006), Joking Kinship as a Syncretic Institution, *Cahiers d'études Africains, Vol 4, N°184, pp809-834*؛
- Glover, John, (2007), *Sufism and Jihad in modern Senegal : The Mourid Order*, University of Rochester Press, Rochester.
- Horowitz, Donald, (1985), *Ethnic Groups in Conflict*, University of Califirnia Press,Berkeley.
- Mazrui Ali, (1994), Islamic doctrine and the politics of induced fertility change : An Africa perspecctive, *Population and Development Review*, Vol.20, pp121-134؛
- Mbacké Khadim, (1998), Impact de l'Islam sur la société Sénégalaise, *Instituto Italiano per l'Africa e l'Oriente*, Anno53, N°4, pp530-556؛
- Mboup Babacar and Mc Laughlin Fiona, Mediation And The Performance of Religions Authority in Senegal, Islamic Africa, Vol. 1, N°1, pp39-61؛
- Ministère de l'Économie et de Finances, (1993), *Rapport National de Recensement General de la Population et de L'Habitat de 1988*, Dakar.
- Naomi Chazan, (1982), The New Politics of Participation in Tropical Africa. *Comparative Politics*, Vol.14, N°2, pp169-189؛

- Robinson, David, (2000), *Paths of accommodation : Muslim societies and French colonial authorities in Senegal and Mauritania 1880-1920*, Ohio University press.
- Searing, James, (1993), *West African Slavery and Atlantiv Commerce : The Senegal River Valley 1700-1860*, Cambridge University Press.
- Smith, Anthony, (1986), *The ethnic origins of nations*, Blackwell publishing, Oxford.
- Stepan Alfred, (2012), Rituals of respect, Sufis and Secularists in Senegal in comparative perspective, *Comparative Politics*, Vol.44, N°4, pp379-401؛
- Stepan, Alfred, (2013), *Tolerance..Democracy..and Sufis in Senegal*, Columbia University Press.
- Suk-Young Chwe, Michael, (2001), *Rational Ritual, Coordination and common knowledge*, Princeton University Press, New Jersey.
- The Fund for Peace, (2020), *Fragile States Index, Annual Report*, Washington.
- Tidiane Sy, Cheikh, (1969), *La Confrérie Sénégalasie des Mourides ... Un Essai sur l'Islam au Sénégal*, Présence Africaine, Paris.
- Villalón, Leonardo, (1995), *Islamic society and state power in Senegal*, Cambridge University Press, New York.
- Villalón Leonardo, (1999), Generational Changes..Political Stagnation and the Evolving Dynamics of Religion and Politics in Senegal, *Africa Today*, Vol.46, N°3/4, pp129-147؛
- Volk Thomas, (2017), Heading towards Maraboutcracy? Muslim Brotherhood and their Influence in Senegal, *Konrad Adenauer Stiftung*.